الباب السابع والثلاثون
فى وصف صلاة أهل القرب

ونذكر فى هذا الوصف كيفية الصلاة بهيآتها، وشروطها، ولآدابها الظاهرة والباطنة، على الكمال بأقصى ما انتهى إليه فهمنا وعلمنا على الوجه، مع الإعراض عن نقل الأقوال فى كل شيء من ذلك؛ إذ فى ذلك كثرة، ويخرج عن حدّ الاختصار والإيجاز المقصود. فنقول وبالله التوفيق: ينبغى للعبد أن يستعدّ للصلاة قبل دخول وقتها بالوضوء، ولا يوقع الوضوء فى وقت الصلاة؛ فذلك من المحافظة عليها.

ويحتاج فى معرفة الوقت إلى معرفة الزوال، وتفاوت الأقدام لطول النهار وقصره.

ويعتبر الزوال بأن الظلّ مادام فى الانتقاص فهو النصف الأول من النهار؛ فإذا أخذ الظل فى الازدياد فهو النصف الآخر وقد زالت الشمس.

وإذا عرف الزوال وأن الشمس على كم قدم تزول يعرف أوّل الوقت، وآخره، ووقت العصر. ويحتاج إلى معرفة المنازل ليعلم طلوع الفجر، ويعلم أوقات الليل.

وشرح ذلك يطول ويحتاج أن يفرد له باب.

فإذا دخل وقت الصلاة يقدّم السنّة الراتبة، ففى ذلك سرّ وحكمة؛ وذلك - والله أعلم - : أن العبد تشعث باطنه، وتفرّق همّه، لِما يُلى به من المخالطة من الناس، وقيامه بمهام العيش، أو سهو جرى بوقع الجبلّة، أو صرف همّ إلى أكل - أو نوم بمقتضى العادة، فإذا قدّم السنّة ينجذب باطنه إلى الصلاة ويتهيأ للمناجاة ويذهب بالسنّة الراتبة أثر الغفلة والكدورة من الباطن فينصلح الباطن ويصير مستعدًا للفريضة.

فالسنة مقدّمة صالحة يستنزل بها البركات، وتطرق النفحات.

ثم يجدد التوبة مع الله تعالى عند الفريضة عن كل ذنب عمله، ومن الذنوب عامة وخاصة؛ فالعامة الكبائر، والصغائر، مما أومأ إليه الشرع ونطق به الكتاب والسنة. والخاصة: ذنوب حال الشخص فكلّ عبد على قدر صفاء حاله له ذنوب تلائم حاله ويعرفها صاحبها.

وقيل حسنات الأبرار سيئات المقربيّن.

ثم لا يصلّى إلاّ جماعة، قال رسول الله ﷺ «تفضل صلاة الجماعة صلاة الفذّ بسبع وعشرين درجة»[1].

---

(١) متفق عليه.

ثم يستقبل القبلة بظاهرة، والحضرة الإلهية بباطنة، ويقرأ ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاس ﴾ ويقرأ فى نفسه آية التوجّه، وهذا التوجّه قبل الصلاة، والاستفتاح قبل الصلاة لوجهه الظاهر بانصرافه إلى القبلة.

وتخصيص جهته بالتوجّه دون جهة الصلاة، ثم يرفع يديه حذو منكبيه بحيث تكون كفاه حذو منكبيه، وإبهاماه عند شحمة أذنيه، ورءوس الأصابع مع الأذنين، ويضم الأصابع وإن نشرها جاز، والضم أولى؛ فإنه قيل: النشرُ نشر الكف لا نشر الأصابع، ويكبّر، ولا يدخل بين باء «أكبر» ورائه ألفًا، ويجزم «أكبر» ويجعل المدّ فى (الله) ولا يبالغ فى ضم الهاء من (الله)، ولا يبتدئ بالتكبير إلا إذا استقرت اليدان حذو المنكبين، ويرسلهما مع التكبير من غير نقض، فالوقار إذا سكن القلب تشكلت به الجوارح، وتأيدت بالأولى والأصوب ويجمع بين نية الصلاة والتكبير بحيث لا يغيب عن قلبه حالة التكبير أنه يصلى الصلاة بعينها.

وحكى عن الجنيد أنه قال: لكل شيء صفوة، وصفوة الصلاة التكبيرة الأولى.

وإنما كانت التكبيرة صفوة؟ لأنها موضع النية وأول الصلاة.

قال أبو نصر السرّاج: «سمعت به سالم يقول: النيّة بالله لله، ومن الله. والآفات التى تدخل فى صلاة العبد بعد النيّة من العدوّ، ونصيب العدو، وإن كثر، لا يوازن بالنية التى هى لله بالله وإن قلٍ.

وسئل أبو سعيد الحزاز: كيف الدخول فى الصلاة؟ فقال: هو أن تُقبل على الله تعالى إقبالك عليه يوم القيامة، ووقوفك بين يدى الله ليس بينك وبينه ترجمان وهو مقبل عليك وأنت تناجيه وتعلم بين يدى من أنت واقف فإنه الملك العظيم.

وقيل لبعض العارفين: كيف تكبّر التكبيرة الأولى؟ فقال: ينبغى إذا قلت «الله أكبر» أن يكون مصحوبك فى الله: التعظيم مع الألف، والهيبة مع اللام، والمراقبة والقرب مع الهاء.

واعلم أن من الناس من إذا قال «الله أكبر» غاب فى مطالعة العظمة والكبرياء، وامتلأ باطنه نورًا وصار الكون بأسره فى فضاء شرح صدره كخردلة بأرض فلاة. ثم تلقى الخردلة، فما يخشى من الوسوسة وحديث النفس! ! وما يتخايل فى الباطن من الكون الذى صار بمثابة الخردلة فألقيت، فكيف تزاحم الوسوسة وحديث النفس مثل هذا العبد؟ وقد تزاحم مطالعة العظمة والغيبوبة فى ذلك كون النية، غير أنه لغاية لطف

الحال يختص الروح بمطالعة العظمة والقلب يتميز بالنيّة. فتكون النية موجودة بألطف صفاتها، مندرجة فى نور العظمة اندراج الكواكب فى ضوء الشمس. ثم يقبض بيده اليمنى يده اليسرى، ويجعلهما بين السرّة والصدر، واليمنى لكرامتها تجعل فوق اليسرى، ويمد المسبحة والوسطى على الساعد، ويقبض بالثلاثة البواقى اليسرى من الطرفين.

وقد فسر أمير المؤمنين على رضى الله عنه قوله تعالى: ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ﴾ (1) قال: إنه وضع اليمنى على الشمال تحت الصدر، وذلك أن تحت الصدر عِرقًا يقال له «الناحر» ، أى: ضع يدك على الناحر وقال بعضهم: «وانحر» أى: استقبل القبلة بنحرك. وفى ذلك سرّ خفىّ يكاشف به من وراء أستار الغيب؛ وذلك أن الله تعالى بلطيف حكمته خلق الآدمى وشرّفه، وكرّمه، وجعله محل نظره، ومورد وحيه، ونخبة ما فى أرضه وسمائه روحانيا وجسمانيا، أرضيا وسماويا، منتصب القامة، مرتفع الهيئة، فنصفه الأعلى من حدّ الفؤاد مستودع أسرار السموات، ونصفه الأسفل مستودع أسرار الأرض، فمحل نفسه ومركزها النصفُ الأسفل، ومحل روحه الروحانى والقلب النصفُ الأعلى؛ فجواذب الروح مع جواذب النفس يتطاردان ويتحاربان، وباعتبار تطاردهما وتغالبهما تكون لمة الملك ولمة الشيطان، ووقت الصلاة يكثر التطارد لوجود التجاذب بين الإيمان والطبع، فيكاشف المصلى الذى صار قلبه سماويًا مترددًا بين الفناء والبقاء لجواذب النفس متصاعدة من مركزها.

وللجوارح،وتصرفها،وحركتها مع معانى الباطن ارتباط وموازنة؛ فبوضع اليمنى على الشمال حصر النفس ومنع من صعود جواذبها، وأثر ذلك يظهر بدفع الوسوسة وزوال حديث النفس فى الصلاة، ثم إذا استولت جواذب الروح وتملكت من الفَرق(2) إلى القدم — عند كمال الأنس وتحقق قرة العين واستيلاء سلطان المشاهدة — تصير النفس مقهورة ذليلة، ويستنير مركزها بنور الروح، وتنقطع حينئذ جواذب النفس.

وعلى قدر استنارة مركز النفس يزول كل(3) العبادة، ويستغنى حينئذ عن مقاومة النفس ومنع جواذبها بوضع اليمين على الشمال فيسبل(4) حينئذ.

---

(١) آية ٢ من سورة الكوثر.

(٢) الفرْق: الطريق فى شعر الرأس.

(٣) هكذا فى الأصل ولعل العبارة «توزن».

(٤) يقال: أسبل الدمع أرسل الماء صبه وأسبل الستر أرخاه.

ولعل لذلك – والله أعلم – ما نقل عن رسول الله ﷺ أنه صلّى مسبلاً، وهو مذهب مالك رحمه الله تعالى.

ثم يقرأ ﴿ وَجَّهْتُ وَجْهِيَ.. ﴾ الآية، وهذا التوجه إنقاء لوجه قلبه، والذى قبل الصلاة لوجه قالبه، ثم يقول: سبحانك اللهم، وبحمدك، وتبارك اسمك، وتعالى جدك، ولا إله غيرك، اللهم أنت الملك، لا إله إلا أنت سبحانك، وبحمدك، أنت ربى، وأنا عبدك، ظلمت نفسى واعترفت بذنبى فاغفر لى ذنوبى جميعًا إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، واهدنى لأحسن الأخلاق فإنه لا يهدى أحسنها إلاّ أنت، واصرف عنى سيئها فإنه لا يصرف عنى سيئها إلا أنت، لبيك وسعديك فالخير كله بيديك، تباركت وتعاليت، أستغفرك وأتوب إليك.

ويطرق رأسه فى قيامه، ويكون نظره إلى موضع السجود، ويكمل القيام بانتصاب القامة ونزع يسير الانطواء عن الركبتين والخواصر ومعاطف البدن، ويقف كأنه ناظر بجميع جسده إلى الأرض فهذا من خشوع سائر الأجزاء. ويتكون الجسد بتكون القلب من الخشوع.

ويراوح بين القدمين بمقدار أربع أصابع، فإن ضم الكعبين هو «الصفد» المنهى عنه.

ولا يرفع إحدى الرجلين فإنه «الصفن» [1] المنهى عنه، نهى رسول الله ﷺ عن الصفن والصفد.

فإذا كان الصفن منهيا عنه، ففى زيادة الاعتماد على إحدى الرجلين دون الأخرى معنى من «الصفن» فالأولى رعاية الاعتدال فى الاعتماد على الرجلين جميعًا.

ويكره اشتمال الصماء: وهو أن يخرج يده من قبل صدره.

ويجتنب «السدل» وهو أن يرخى أطراف الثوب إلى الأرض، ففيه معنى الخيلاء.

وقيل: هو الذى يلتف بالثوب، ويجعل يديه من داخل، فيركع ويسجد كذلك.

وفى معناه: ما إذا جعل يديه داخل القميص.

ويجتنب الكف: وهو أن يرفع ثيابه بيديه عند السجود.

ويكره الاختصار: وهو أن يجعل يده على الخاصرة.

ويكره الصلب. وهو وضع اليدين جميًعا على الخصرين. وتجافى العضدين.

---

(١) صفن الفرس: قام على ثلاث قوائم وطرف حافر الرابع، وصفن الرجل: صف قدميه.

فإذا وقف فى الصلاة على الهيئة التى ذكرناها مجتنبًا للمكاره فقد تم القيام وكمله.

فيقرأ آية التوجه والدعاء، كما ذكرناها، ثم يقول: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، ويقولها فى كل ركعة أمام القراءة، ويقرأ الفاتحة وما بعدها بحضور قلب؛ وجمع هم، ومواطأة بين القلب واللسان بحفظ وافر من الوصلة، والدنو، والهيبة والخشوع والخشية والتعظيم والوقار والمشاهدة والمناجاة. وإن قرأ بين الفاتحة وما يقرأ بعدها إذا كان إمامًا فى السكتة الثانية «اللهم باعد بينى وبين خطاياى كما باعدت بين المشرق والمغرب، ونقنى من الخطايا كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس، اللهم اغسل خطاياى بالماء والثلج والبرد» فحسن، وإن قالها فى السكتة الأولى فحسن.

وروى عن النبى ﷺ أنه قال ذلك.

وإن كان منفردًا يقولها قبل القراءة.

ويعلم العبد أن تلاوته نطق اللسان ومعناها نطق القلب، وكل مخاطب لشخص يتكلم بلسانه، ولسانه يعبر عما فى قلبه، ولو أمكن المتكلم إفهام من يكلمه من غير لسان فعل، ولكن حيث تقدر الإفهام إلا بالكلام جعل اللسان ترجمانًا، فإذا قال باللسان من غير مواطأة القلب فما اللسان ترجمانًا ولا القارئ متكلمًا قاصدًا إسماع الله حاجته، ولامستمعًا إلى الله فاهمًا عنه،سبحانه،ما يخاطبه، وما عنده غير حركة اللسان بقلب غائب عن قصد ما يقول،فينبغى أن يكون متكلًا مناجيًا،أو مستمعًا راعيًا. فأقل مراتب أهل الخصوص فى الصلاة الجمع بين القلب واللسان فى التلاوة. ووراء ذلك أحوال للخواص يطول شرحها.

قال بعضهم: «ما دخلت فى صلاة قط فأهمنى فيها غير ما أقول».

وقيل لعامر بن عبد الله: هل تجد فى الصلاة شيئًا من أمور الدنيا؟

فقال: لأن تختلف على الأسنة أحب إلى من أن أجد فى الصلاة ما تجدون».

وقيل لبعضهم: هل تحدث نفسك فى الصلاة بشىء من أمور الدنيا؟

فقال: لا فى الصلاة ولا فى غيرها.

ومن الناس من إذا أقبل على الله فى صلاته يتحقق بمعنى الإنابة، لأن الله تعالى قدم الإنابة وقال: ﴿مُنيبين إليه واتقوه وأقيموا الصّلاة﴾ (١) فينيب إلى الله تعالى، ويتقى الله تعالى بالتبرى عمّا سواه، ويقيم الصلاة بصدر منشرح بالإسلام، وقلب منفتح بنور الإنعام،

---

(١) آية رقم ٣١ من سورة الروم.

فتخرج الكلمة من القرآن من لسانه ويسمعها بقلبه، فتقع الكلمة فى فضاء قلب ليس فيه غيرها. فيتملكها القلب بحسن الفهم ولذيذ نعمة الإصغاء، ويتشربها بحلاوة الاستماع وكمال الوعي، ويدرك لطيف معناها وشريف فحواها معانى تلطف عن تفصيل الذكر، وتتشكل بخفى الفكر. ويصير الظاهر من معانى القرآن قوت النفس، فالنفس المطمئنة متعوِّضة بمعانى القرآن عن حديثها، لكونها معانى ظاهرية متوجهة إلى عالم الحكمة والشهادة، تقرب مناسبتها من النفس المكونَّة لإقامة رسم الحكمة، ومعانى القرآن الباطنة التى يكاشف بها من الملكوت قوت القلب، وتتخلص الروح المقدَّس إلى أوائل سرادقات الجبروت بمطالعة عظمة المتكلم.

وبمثل هذه المطالعة يكون كمال الاستغراق فى لجج الأشواق.

كما نقل عن مسلم بن يسار أنه صلَّى ذات يوم فى مسجد البصرة، فوقعت أسطوانة تسامع بسقوطها أهل السوق، وهو واقف فى الصلاة لم يعلم بذلك.

ثم إذا أراد الركوع يفصل بين القراءة والركوع، ثم يركع منطوى القامة، والنصف الأسفل بحاله فى القيام من غير انطواء الركبتين، ويجافى مرفقيه عن جنبيه، ويمد عنقه مع ظهره، ويضع راحتيه على ركبتيه منشورة الأصابع.

روى مسعد بن سعد، قال: صليت إلى جنب سعد بن مالك فجعلت يدى بين ركبتى وبين فخذى وطبقتهما، فضرب بيدى وقال: اضرب بكفيك على ركبتيك، وقال: يابنى، إنّا كنا نفعل ذلك فأُمرنا أن نضرب بالأكف على الركب.

ويقول: «سبحان ربى العظيم» ثلاثًا، وهو أدنى الكمال.

والكمال أن يقول إحدى عشرة مَرة، وما يأتى به من العدد يكون بعد التمكن من الركوع، ومن غير أن يمزج آخر ذلك بالرفع، ويرفع يديه للركوع، والرفع من الركوع.

ويكون فى ركوعه ناظرًا نحو قدميه، فهو أقرب إلى الخشوع من النظر إلى موضع السجود، وإنما ينظر إلى موضع سجوده فى قيامه، ويقول بعد التسبيح: «اللهم لك ركعت ولك خشعت ولك آمنت ولك أسلمت، خشع لك سمعى وبصرى وعظمى ومخى وعصبى» ويكون قلبه فى الركوع متصفا بمعنى الركوع من: التواضع، والإخبات».

ثم يرفع رأسه قائلا: «سمع الله لمن حمده» عالمًا بقلبه ما يقول.

فإذا استوى قائمًا يحمد ويقول: ربنا لك الحمد ملء السموات والأرض وملء ما شئت من شيء بعد« ثم يقول: «أهل الثناء والمجد أحق ما قال العبد، وكلنا لك عبد، لا مانع لما أعطيت ولا معطى لما منعت، ولا ينفع ذا الجِد منك الجد».

فإن أطال فى النافلة القيام، بعد الرفع من الركوع، فليقل: «لربّى الحمد» مكررًا ذلك مهما شاء فأما فى الفرض فلا يطوّل تطويلًا يزيد على الحّد زيادة بينة.

ويقنع فى الرفع من الركوع بتمام الاعتدال بإقامة الصلب.

ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال: «لا ينظر الله إلى من لا يقيم صلبه بين الركوع والسجود»[1] ثم يهوى ساجدًا ويكون فى هويه مكبرًا مستيقظًا، حاضرًا خاشعًا عالمًا بما يهوى فيه، وإليه، وله، فمن الساجدين من يكاشف أنه يهوى إلى تخوم الأرضين متغيبًا فى أجزاء الملك، لامتلاء قلبه من الحياء، واستشعار روحه عظيم الكبرياء، كما ورد أن جبرائيل عليه السلام تستر بخافية من جناحه حياء من الله تعالى.

ومن الساجدين من يكاشف أنه يطوى بسجوده بساط الكون والمكان، ويسرح قلبه فى قضاء الكشف والعيان، فتهوى دون هويه أطباق السموات، وتنمحى لقوة شهوده تماثيل الكائنات، ويسجد على طرف رداء العظمة. وذاك أقصى ما ينتهى إليه طائر الهمّة البشرية. وتفى بالوصول إليه القوة الإنسانية.

وتتفاوت الأنبياء والأولياء فى مراتب العظمة، واستشعار كنهها، لكلٍ فهم على قدره حظ من ذلك، وفوق كل ذى علم عليم.

ومن الساجدين من يتسع وعاؤه، وينتشر ضياؤه، ويحظى بالصنفين، ويبسط الجناحين، فيتواضع بقلبه إجلالًا، ويرفع بروحه إكرامًا وإفضالًا، فيجتمع له الأنس والهيبة، والحضور والغيبة، والفرار والقرار، والإسراء والجهاز، فيكون فى سجوده سابحًا فى بحر شهوده، لم يتخلّف منه عن السجود شعرة، كما قال سيد البشر فى سجوده: «سجد لك سوادى وخيالى» ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ طوعًا وَكرْهًا﴾[2] الطوع: للروح والقلب؟ لما فيهما من الأهلية، والكره: من النفس لما فيها من الأجنبية.

ويقول فى سجوده: «سبحان ربى الأعلى» ثلاثًا إلى العشر الذى هو الكمال.

---

(١) رواه ابن ماجه

(٢) آية رقم ١٥ من سورة الرعد.

ويكون فى السجود مفتوح العينين، لأنهما يسجدان، وفى الهوّى يضع ركبته، ثم يديه، ثم جبهته وأنفه، ويكون ناظرًا نحو أرنبة أنفه فى السجود، فهو أبلغ فى الخشوع للساجد. ويباشر بكفيه المصلى، ولا يلفهما فى الثوب، ويكون رأسه بين كفيه، ويداه خدو منكبيه، غير متيامن ومتياسر بهما، ويقول بعد التسبيح: «اللهم لك سجدت، وبك آمنت ولك أسلمت سجد وجهى للذى خلقه، وصوّره، وشق سمعه، وبصره، فتبارك الله أحسن الخالقين».

وروى أمير المؤمنين على رضى الله عنه، أن رسول الله ﷺ كان يقول فى سجوده ذلك. وإن قال: «سبّوح قدّوس ربّ الملائكة والروح» فحسن.

روت عائشة رضى الله عنها، أن رسول الله ﷺ كان يقول فى سجوده ذلك.

ويجافى مرفقيه عن جنبيه، ويوجّه أصابعه فى السجود نحو القبلة، ويضم أصابع كفيّه مع الإبهام ولا يفرش ذراعيه على الأرض، ثم يرفع رأسه مكبرًا، ويجلس على رجله اليسرى وينصب اليمنى موجّها بالأصابع إلى القبلة، ويضع اليدين على الفخذين من غير تكلف ضمهما وتفريجهما، ويقول: «رب اغفر لى وارحمنى واهدنى واجبرنى وعافنى واعف عنى». ولا يطيل هذه الجلسة فى الفريضة. أما فى النافلة فلا بأس مهما أطال، قائلا: « رب اغفر وارحم» مكررًا ذلك، ثم يسجد السجدة الثانية مكبرًا، ويكره الإقعاء فى القعود، وهو ها هنا: يضع إليتيه على عقبيه.

ثم إذا أراد النهوض إلى الركعة الثانية يجلس جلسة خفيفة للاستراحة، ويفعل فى بقية الركعات هكذا، ثم يتشهد.

وفى الصلاة سرُّ المعراج، وهو: معراج القلوب.

والتشهد: مقرّ الوصول، بعد قطع مسافات الهئيات، على تدريج طبقات السموات.

والتحيات: سلام على ربّ البريات، فليذعن لما يقول، ويتأدّب مع من يقول، ويدرى كيف يقول ويسلّم على النبى ﷺ، ويمثّله بين عينى قلبه، ويسلّم على عباد الله الصالحين فلا يبقى عبد فى السماء ولا فى الأرض من عباد الله إلاّ ويسلم عليه بالنسبة الروحية، والخاصية الفطرية ويضع يده اليمنى على فخذه اليمنى، مقبوضة الأصابع إلاّ المَسَبِّحة، ويرفع المسبحة فى الشهادة فى «إلا الله» لا فى كلمة النفى، ولا يرفعها منتصبة، بل مائلة برأسها إلى الفخذ منطوية.

فهذه هيئة خشوع المُسبِّحة، ودليل سراية خشوع القلب إليها.

ويدعو فى آخر صلاته لنفسه، وللمؤمنين، وإن كان إمامًا ينبغى أن لا ينفرد بالدعاء، بل يدعو لنفسه، ولمن وراءه، فإن الإمام المتيقّظ فى الصلاة كحاجب دخل على سلطان ووراءه أصحاب الحوائج يسأل لهم ويعرض حاجتهم، والمؤمنون كالبنيان يشد بعضه بعضًا، وبهذا وصفهم الله تعالى فى كلامه بقوله سبحانه ﴿كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ﴾ [1].

وفى وصف هذه الأمة فى الكتب السالفة صَفُّهم فى صلاتهم كَصَفِّهم فى قتالهم. وحدثنا بذلك شيخنا ضياء الدين أبو النجيب السهروردى، إملاء، قال: أخبرنا عبدالرحمن محمد بن عيسى بن شعيب المالينى قال: أخبرنا أبو الحسن عبد الرحمن بن محمد المظفر الواعظ، قال: أخبرنا أبو محمد عبد الله بن أحمد السرخسى قال: أخبرنا أبو عمران عيسى بن عمر بن العباس السمرقندى قال: أخبرنا أبو محمد عبد الله بن عبدالرحمن الدارمى قال: أخبرنا مجاهد بن موسى قال: حدثنا معن هو ابن عيسى أنه سأل كعب الأحبار: كيف نجد نعت رسول الله ﷺ فى التوراة؟ قال: نجده «محمد بن عبد الله، ويولد بمكة، ويهاجر لطيبة، ويكون ملكه بالشام، وليس بفحّاش ولا صخّاب فى الأسواق، ولا يكافئ السيئة بالسيئة، ولكن يعفو ويغفر، أمته الحمّادون: يحمدون الله فى كل سرّاء، ويكبّرون الله على كل نجد، يوضئون أطرافهم، ويتأزرون فى أوساطهم، يُصَفّون فى صلاتهم كما يُصفّون فى قتالهم، دويّهم فى مساجدهم كدوىّ النحل، يسمع مناديهم فى جوّ السماء».

فالإمام فى الصلاة مقدمة الصف فى محاربة الشيطان، فهو أولى المصلّين بالخشوع، والإتيان بوظائف الأداب ظاهرًا وباطنًا، والمصلّون المتيقظون كلما اجتمعت ظواهرهم تجتمع بواطنهم وتتناصر وتتعاضد، وتسرى من البعض إلى البعض أنوار وبركات، بل جميع المسلمين المصلّين فى أقطار الأرض بينهم تعاضد وتناصر بحسب القلوب ونسب الإسلام ورابطة الإيمان، بل يمدّهم الله تعالى بالملائكة الكرام كما أمّد رسول الله ﷺ بالملائكة المسّومين، فحاجاتهم إلى محاربة الشيطان أمسّ من حاجاتهم إلى محاربة الكفار، ولهذا كان يقول رسول الله ﷺ: «رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر» فتتداركهم الأملاك، بل بأنفسهم الصادقة تتماسك الأفلاك.

فإذا أراد الخروج من الصلاة يسلّم على يمينه، وينوى مع التسليم الخروجَ من الصلاة والسلام على الملائكة والحاضرين من المؤمنين ومؤمنى الجن، ويجعل خدّه مبينًا لمن على

---

(١) من آ[illegible] الصف.

obeikandi.com

يمينه بإلواء عنقه ويفصل بين هذا السلام والسلام عن يساره، فقد ورد النهى عن المواصلة.

والمواصلة خمس: اثنان تختص بالإمام. هو أن لا يوصل القراءة بالتكبير، والركوع بالقراءة واثنتان على المأموم: وهو أن لا يوصل تكبيره الإحرام بتكبير الإمام، ولا تسليمه بتسليمه.

وواحدة على الإمام والمأمومين: وهو أن لا يوصل تسليم الفرض بتسليم النفل. ويحزم التسليم ولا يمد مدًّا، ثم يدعو بعد التسليم بما يشاء من أمر دينه ودنياه، ويدعو قبل التسليم أيضًا فى صلب الصلاة فإنه يستجاب.ومن أقام الصلوات الخمس فى جماعة فقد ملأ البرّ والبحر عبادة.

وكلّ المقامات والأحوال زُبدتها الصلوات الخمس فى جماعة، وهى سرّ الدين. وكفارة المؤمن. وتمحيص للخطايا، على ما أخبرنا شيخنا شيخ الإسلام أبو النجيب السهروردى، رحمه الله، إجازة قال: أخبرنا أبو منصور محمد بن عبد الملك بن خيرون. قال: أخبرنا أبو محمد الحسن بن على الجوهرى، إجازة، قال: أخبرنا أبو عمر محمد بن العباس بن زكريا، قال: حدثنا أبو محمد يحيى بن محمد بن صاعد، قال: حدثنا الحسين بن الحسين الموزى، قال: أخبرنا عبد الله بن المبارك قال: أخبرنا يحيى بن عبدالله قال: سمعت أبى يقول: سمعت أبا هريرة رضى الله عنه يقول: قال رسول الله ﷺ: «الصلوات الخمس كفارات للخطايا» اقرءوا إن شئتم ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ﴾[1].

---

(١) آية ١١٤ من سورة هود.